الفصل الخامس

روافد الصورة الشعرية

تتعدد روافد الصور الشعرية ،وتتنوع مصادرها وفقا لتنوع بيئات الشعراء وثقافاتهم فالإنسان يشاهد في حياته مشاهدَ طبيعيةً كثيرةً ،وأحداثًا متعددةً كما أنه يقرأ أو يسمع عن كثير من هذه الأحداث ؛ فتترسب في ذهنه صورًا لما شاهد ،أو سمع ،أو قرأ ، وحينما يكتب شيئًا ،يبحث في ذاكرته الحافظة عن أشياء قريبة مما يريد أن يصور به ؛ فيأخذ شيئًا من ذلك ،ويصبغ عليه من خياله ،فالصورة ــ في مجملها ــ رسالة يُحمِّلها الشاعر تراثًا إنسانيًّا عميق الدلالات والأبعاد ،وهي في الوقت ذاته جزء من هذا التراث الحضاري المتغلغل في اللاوعي الداخلي الذى يخرج لحظة الإبداع الفني ليكشف في ومضات خفية أشياء عن حياة الشاعر ،وخلفياته الثقافية والمعرفية .

وتعد الجمهرة من أهم المجموعات الشعرية التي ضمّت بين جنبيها شعراء مختلفين في الزمان والمكان ،والقلة والكثرة ،والإجادة والصنعة الشعرية يضاف لذلك الموضوعات التي تقولبت فيها قصائدهم؛ فجاءت حاملة صورًا شعرية تعكس في كثير من جوانبها فحولية شعرائها وثقافاتهم المتنوعة .

وقد جاءت الصور الشعرية في الجمهرة محملة بهذه الدلالات كاشفة عن الروافد الثقافية المتنوعة التي نهل منها شعراء الجمهرة صورهم ،وبنوها عليها ؛ ومن أهم هذه المصادر :

- الطبيعة .

- الرافد التاريخي .
- الأمثال .
- القيم الدينية .
- القيم الاجتماعية والفضائل النفسية .

(١) الطبيعة :

الطبيعة هي المحيط الكوني الذى يحيط الشاعر ، فعلى رماله يسير، ومن نباته وحيوانه يأكل ،ويلبس ،ويركب ،ومن آباره يشرب ويرتوي ،وبين جباله ووديانه يقيم ،ومن هوائه يتنفس نسمات الحرية التي لا تحدها حدود ،وعلى أنوائه وأقماره يسير في ظلمات الليل المخيف ،فهي بيت الشاعر الذى يظله بكنفه ،ويظل قابعًا أمام بصره ليل نهار في حلِّه وترحاله ،فهي معه دائمًا وأبدًا في وقت الشدة والرخاء ،وفي النور والظلام لهذا أصبحت شقَّه الآخر ؛ فانصهر في أتونها ،وعندما نطق لسانه شعرًا ،وصاغت يمينه أدبًا لم تبرح بعيدًا عنه وإنما ظلت مرتكزًا يعتمد عليه في تعبيره عن مشاعره ، فعبر عن دلالاتها ،ونحت صخورها وقولبها ،وشخص عناصرها ليعبر عن مشاعره وأفكاره؛ فأصبحت الطبيعة جزءًا من إبداعه ؛ فوصفها وصفًا دقيقًا عبر عن مدى التلاحم بينهما لهذا ذكر رمالها ،وجبالها ،وسهولها ، وأمطارها في صور فنية شتى كشفت

عن ذلك التأثير السحري الذى فعلته فيه هذه البيئة ،فهي الأم الحنون التي تظله بظلالها ؛ " فالشعر ابن أبوينِ : التاريخ والطبيعة " (١) .

وقد وقف شعراء الجمهرة أمام الطبيعة ،وكانت وقفاتهم مختلفة في الطرق التي نهلوا منها ، فمنهم من زركش صوره بمشاهدها معتمدًا على نقل عناصرها نقلاً أمينًا جَسّدَ صورتها ،ومشاهدها ؛ولهذا ظل يراقب " الأشياء ،ويقرر ما يبصره من شكلها وأوصافها تقريرًا شائعًا علميًا " (٢) ،ونجد ذلك واضحًا في شعر الأطلال ، فالشاعر من خلال وقوفه بالطلل قدّم وصفًا تقريرًا لطبيعة محيطة به ،وعاشت عليها محبوبته ،واتضح ذلك في أول ما تلمس أعيننا من قصائد الجمهرة لدى امرئ القيس في قوله : (٣)

---

(١) أحمد شوقي : الشوقيات ــ المكتبة التجارية ــ القاهرة (١٩٧٥ م) ص : ١٣.

(٢) إيليا الحاوي : فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ــ دار الكتاب اللبناني بيروت ــ ط(٢) د .ت ص ١٠ .

(٣) الجمهرة ص : (١١٣ :١١٥ / ١ :٤) السقط : منقطع الرمل ، اللوي : منقطع الرمل حيث يلتوي ويرق ، الدخول وحومل : موضعان ، توضح : أرض ، المقراة : الحوض الذى يكون فيه الماء وقيل : موضع أيضا،نسجتها : تعاقبت عليها فكانت تسترها تارة وتكشفها تارة ، الشمأل : القبلية نسبة إلى القبلة وقيل الجوفية نسبة إلى إلى الجوف في شمال مكة، تسح : تسيل من فوق ويشتد انصبابها ، الملاء : جمع ملاءة وهي الملحفة أو الإزار إذا جمعت أطرافه وطوى ، المذيل : طويل الذيل،عرصاتها : جمع عرصة وهي الساحة ،السمرات : الواحدة سمرة وهي الشجرة .

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكرَى حبيبٍ ومنزِلِ

بِسِقطِ اللِّوى، بينَ الدَّخُولِ، فحَوْمَلِ

فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعفُ رَسْمُها

لَما نَــسَــجَتْها مِن جَنُوبٍ وشَمأَلِ

رخــاءً تَسُحُّ الرّيــحُ في جَنَباتِها

كَساها الصَّبا سَحْقَ المُلاءِ المُذَيّلِ

تَرَى بَعَرَ الصِّيرانِ في عَرصَاتِها

وَقيعانِها، كــأنَّهُ حَــبُّ فُــلْــفُــلِ

فقد برزت الطبيعة في الأبيات السابقة ،واتضحت عناصرها المكانية التي تصدرت المشهد الصوري ،**وهي : (سِقطِ اللِّوى، الدَّخُولِ، حَوْمَلِ ــ تُوضِحَ ــ المِقْراةِ)** ،وتفاعلت هذه العناصر المكانية مع أنماط أخرى للطبيعة تمثلت في حركات الرياح المتتالية : **(جَنُوبٍ ــ شَمأَلِ ــ الصَّبا)** ،وما تفعله هذه الرياح من أفاعيل على هذه الأماكن ورسومها ،ولم يقتصر وجود الطبيعة على هذا الموجودات المكانية والرياح فحسب ،وإنما شاركها عناصر أخرى متولدة من موجودات طبيعية متحركة تمثلت في الصّيران أو الآرام التي ظهرت في الصورة عن طريق البعر بكل ما يحمله من دلالة الخلو والانمحاء التي عاشتها هذه الموجودات المكانية التي عبر عن تلاشيها من خلال حركات الرياح ومحوها لآثارها من جهة ،وبعر الصّيران المتناثر في أرجائها من ناحية أخرى .

فالشاعر هنا بنى صورته الطللية على عناصر وموجودات طبيعية شكلت عناصرها ،واعتمد فيها على الوصف التقريري الذى عبر من خلاله عن فكرته .

وقد جَسّد أيضا في نهاية اللوحة صورته من خلال الطبيعة في قوله : ([1])

كأنّي غَداةَ البَــينِ، يَومَ تَحَمَّلُوا

لدَى سَــمُراتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنظَلِ

فقد أحال الشاعر المتلقين من خلال هذا الموجود الطبيعي **(حنظل)** على الصورة التي كانت عليها حالته ،فهو في شوقه إليها ،وكأنه كذلك الرجل الذى يقطع الحنظل ،وتتساقط الدموع الغزيرة من عينيه .

وقد شخص عبيد بن الأبرص حالته النفسية المتمثلة في ضياع الأمل برحيل المحبوبة ؛ فعدّد الموجودات الطبيعية التي انهالت عليها عيناه ملتمسًا في ذكرها وجودًا يماثل وجود محبوبته المفقود ،وذلك في قوله : ([2])

([1]) الجمهرة ص : (١١٧ / ١١) ناقف حنظل : المستخرج لحبّ الحنظل .

([2]) نفسه ص : (٣٨٠ :٣٨١ / ٥ : ٩) محلوب : اسم موضع ،وقيل اسم ماء لبنى أسد بن خزيمة ، القطيبات : اسم جبل يرد في شعر عبيد ،راس :واد ، ذات فرقين : هضبة بين البصرة والكوفة لبنى أسد وهو جبل متفرّق مثل ســنام الفالج ،وقال الأصمعي : ذو فرقين علم بشمالي قطن ، القليب: جبــل الشــربّة وقيل موضع بعينه ، عردة : هي هضبة بالمطلاء في أصلها ماء لكعب بن عبد

أَقْفَرَ مِــنْ أَهْلِــهِ مَلْــحُــوبُ
فالقُــطَّــبِــيّاتُ فالــذَّنُــوبُ
فَــــرَاكِــسٌ فَــثُــعَــيْــلِبــاتٌ
فَذاتُ فِرْقَينْ فالقَــلــيــبُ
فعَــــــــــــرْدَةٌ ، فَقَــفَــا حــــبــرٍ،
لَيْسَ بِــهَــا مِنْهُمُ عَــرِيبُ
أن بُدّلَتْ مِنْ أَهْلِــها وُحوشاً
وغَيّرَتْ حَــالَهــا الخُطُوبُ
أرضٌ تَــــــوَارَثُــهــا شَــعُــوبُ
وكُــلّ مَــن حَلّها مَــحْرُوبُ

فوقف الشاعر ــ في أبياته السابقة ــ على عناصر الطبيعة ؛ ليشكل من خلال ملامحه وعناصره المكانية صورته التي عبر من خلالها عن حالته النفسية المتأزمة التي انعكست على رؤيته للأشياء ؛ فشرع يعدد الأماكن التي أقفرت من أهلها ،وسرد على أسماعنا أسماءها التي استمدها من الطبيعة الحية التي أظلته بظلالها ؛ فذكر (**مَلْــحُــوبُ ــ القُــطَّــبِــيّاتُ ــ الذَّنُــوبُ ــ رَاكِــسٌ ــ ثُــعَــيْلِبــاتٌ ــ فَذاتُ فِرْقَينْ ــ القَــلــيــبُ ــ عَــرْدَةٌ، ــ**

أبى بكر ، قفا جبر : جبلان في ديار سُليم ــ ياقوت الحموي : معجم البلدان (٥/ ١٩١) ،(٤ / ٣٧١) ،(٨/٣) ،(١٦/٣) ،(٧٩/٢) ، (٤ / ٩٩ ،٢٥٥ ،٣٩٤) (٢١٢/٢).

قَـفَـا حـبِـرِ) وقد تواترت أسماء الأماكن والبلدان في مواضع كثيرة في الجمهرة ([1]) مستعينًا الشاعر بهذا الواقع الطبيعي ليعبر به عن حالته الشعورية .

ووظف القطامي الطبيعة في وصفه لطلله في قوله : ([2])

إنّا مُحيّوكَ، فاسلَم أَيُّها الطَّلَلُ، وإن بَلِيتَ، وإن طالتْ بكَ الطِّوَلُ

أنّى اهتَدَيْتَ لتسليمٍ على دِمَـنٍ، بالغَمر، غيّرهُنّ الأعْصُرُ الأُوَلُ

([1]) من ذلك ما ورد بالجمهرة على سبيل المثال لا الحصر: ص (١/١٣٠)،(١٢/١٣١)،(١/١٥٣)،(٤/٢٠٣، ٥)، (١،٢/٢٣٧)، (١٢/٢٣٨)، (١/٢٧٢)، (١،٢/٣٠٤)،(٦/٣٤٩)،٨)، (٥،٦،٧/٣٨٠)، (١٧ /٣٥١)، (٤١/٣٥٨)،(٥،٦،٧/٣٨٠)،(٣٠/٣٨٦)،(٩/٤٠١)، (٢٠/٤٠٤)، (٨،٢٩/٤٠٦)، (٢٦،٢٧،٢٨/٤١١)، (٣٠/٤١٢)،(١،٢/٤١٣)، (٢/٤١٣)،(٥،٦/٤١٤)، (١٠/٤١٥)،(١٩،٢٢/٤١٧)، (٢٣/٤١٨)،(١/٤١٩، ٢، ٣)، (٤٤٤ /٦)، ٨/٤٤٥، ١٤)، (١٣،١٥/٤٤٦)، (١٦/٤٤٧)، (٣/٤٥٠)،(١١/٤٥٢، ١٣)،(٢١/٤٥٥، ٢٣)، (٣/٤٦٦)،(٨/٤٧٩)،(١١/٤٩٩)، (٣،٤/٥٠٧)، (١٣/٥٣٦)، (٦/٥٦٩)،(٢٤،٢٥/٥٨٠)، (٥٩٨ /٢٢،٢٣)، (٦٠١ /٤٣، ٤٥)، (٧/٦٠٨، ٩)، (١٩/٦٠٩)،(١١/٦١٩)، (١٤/٦٢٠)، (١٧/٦٢١، ١٨)، (٥٩/٦٢٨)، (٦٤/٦٢٩،٥٢/٦٤٠)،(٢٥/٦٥١)، (٦/٦٥٨)،(٧/٦٦٣)(١٨،٢١/٦٦٦)، (١٩/٦٧٨)، (٤،٥/٦٨٣)، ٧،(١١/٦٩٦، ١٤)، (٤٢/٧٠٠)،(١٠٥،١٠٦،١٠٧،١٠٨/٧١٠)، (٧،٩/٧١٣)(٢٦/٧١٥، ٢٧)، (٤٦/٧٢٧).

([2]) نفسه ص : (٦٤٣، ٦٤٤ / ١ : ٣) .

صافَت، تُمَعَّجُ أَعْناقُ السيول بها، مِــنْ باكِرٍ سَبَطٍ، أو رائحٍ يئلُ

فالشاعر جمع في طلل محبوبته موجودات طبيعية واقعية اعتمد عليها في تشكيل أبياته ، وتمثلت في الغمر : وهو موضع بعينه يحيطه بظلاله ([1]) ،والدمن : وهو اسم جامع لما تبقى من آثار الديار من رماد وموقد وأبعار ،وهو واقع تراه عيناه ،وتستقر عليه أقدامه ، بجانب السيول والسحاب الباكر ،والمطر الوابل الذى رأى مشاهده وقطراته المتساكبة التي انهالت على طبيعته الساكنة ([2]) ،وتتبع ثمراته وآثاره على هذه الطبيعة .

واستخدم عنترة بن شداد الطبيعة في رسم صورته في مشهد الفراق في قوله : ([3])

([1]) الغمر : غمر القطامى بوادى داهن على الغرب ،والغمر بالجزيرة ،والغمر : " الماء الكثير المغرق وهو بئر قديمة بمكة " ياقوت الحموى : معجم البلدان (٤ / ٢١١) والجمهرة ص : (٦٤٤) .

([2]) وقد ورد ذكر السيول والأمطار في الجمهرة في مواضع أخرى ؛منها على سبيل المثال لا الحصر ص : (٦٢/١٣٥)، (١٥/١٥٩) ،(٦/٣٠٦) ، (٤/٣٨٠)،(٢٦/٤٨٤)،(٥/٤٩٣)،(١٥/٥٠٩) ، (٣٢/٥١٣)، (٢٤/٥٣٩) ،(٤٣/٥٤٤)، (٥٥/٥٦٣)،(٨/٥٧٠) ، (٢٤/٥٣٧)،(٢٠/٥٨٠)،(٢٣/٥٩٨) ،(١٠/٦٣٣)، (٣/٦٤٤) ،(٤٦/٦٨١)،(٢٩/٦٩٨) (١٣،١٤/٧٢٢)،،(٣٠/٧٢٥)،(١٥/٧٣٢)،(٢٣/٧٣٣)،(٥٠/٧٥٨)، (٧٢/٧٦٥) ،(١١٧/٧٨٠) ، (٤٨/٧٩٠) .

([3]) نفسه ص : (٣٥٢ : ٣٥٣ / ١٨ : ٢١) يروى البيت الأول برواية أخرى ،وهي:

إن كُنتِ أَزْمعتِ الفِراقَ، فإنّــما زُمّتْ ركــابُــكُــمُ بِلَــيْلٍ مُظْلمِ
ما راعَني، إلاّ حَمُولَةُ أهــلِها وَسْطَ الدِّيارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمخِمِ
فيها اثْنَتانِ وأَرْبَعُونَ حَلُــوبَةً، سُوداَ كخافيَةِ الغُرابِ الأسْــحَمِ
وصِغارُها مثْلُ الدّبَى وكِبارُها مثل الضّــفادعِ في غَديرٍ مُفْعَمِ

فالشاعر رسم صورة لموقف الرحيل ؛ فاستخدم أنماطًا مختلفةً من الطبيعة بشتى صنوفها المتحركة والساكنة بنى عليها الصورة ،فجعل الليل بسواده القاتم إطارًا غلف به المشهد مستعينًا بظلام الليل ،وغموض الطبيعة السماوية ،واختفاء نجومها ،وفي هذا المشهد الليلى تتجلى مشاهد الرحيل في الروع من هذه الحمولة (الجمال) ،وهي وسط الطبيعة المكانية العامة المتمثلة في الديار ،وتتغذى على طبيعة نباتية ،وهي **(حَبُّ الخِمخِمِ)**،وهو حب أسود ــ ليتناسب مع سواد اللوحة ــ إذا أكلته الإبل قَلّ لبنها ،وتطرق الشاعر من التعميم إلى التفريع ؛ فبعد ما ذكر مطلق حمولة تتبع تفصيليا بنظره هذه الطبيعة المتحركة ،وهي اثنتان وأربعون حلوبة سوداء ،وقرب هذا السواد الذى ملأ به اللوحة ؛ فجعلهم في سوادهم كالغراب، وهو عنصر من عناصر هذه الطبيعة المتحركة ،وجعله

إن كُنتِ أَزْمعتِ الفِراقَ، فإنّــما زُمّتْ
جِمَالكُــمُ بِلَــيْلٍ مُظْلمِ
الخمخم : بقلة لها حب أسود إذا أكلته الإبل ، قلّ لبنها ، الدبى : الجراد قبل أن يظهر .

أسحم ليتناسب مع مقدار السواد الذى غلف به اللوحة من جهة ،وليتناسب ــ في الوقت نفسه ــ مع موقف الرحيل ،وتبعاته ،وما يعتلج بداخله من جراء فقده أحبته من جهة أخرى .

وبجانب موقف الرحيل تأتى صورة المحبوبة لدى عنترة لتشكل جوانب من هذه الطبيعة ،وذلك في قوله : ([1])

إذْ تَستَبيكَ بذي غُرُوبٍ واضحٍ، عَــذْبٍ مُقَبَّلُهُ، لَذيــذِ المَــطعَمِ

وكأنّ فــارَةَ تاجــرٍ بقَسيمَةٍ، سَبَقَتْ عَوارِضَها إليكَ من الفَمِ

أو رَوضــاً أُنُفاً تَضَمّنَ نَبتَها غَيثٌ قَلــيلُ الدِّمنِ، لَيسَ بمعلَمِ

نَظَرَتْ إلَيْهِ بمُقْــلَــةٍ مَكْحُولَةٍ نَظَرَ المَريــض بطَرْفِهِ المُتَقَسِّمِ

وبحاجِبٍ كالنُّونِ زَيَّنَ وَجْهَهَا وبناهِــدٍ حَسَنٍ وكَــشحٍ أَهْضَمِ

([1]) الجمهرة ص : (٣٥٣ ، ٣٥٤ / ٢٣ : ٣٣) الغرب : حد السـنّ هاهنـا وغرب كل شيء حده ، والمعنى بثغر ذي غروب ،الواضح : الأبيض ويريـد بالعذب أن رائحته طيبة ، الفارة : وعاء المسك ، المطعم : المقبل، القسـيمة : الجونة وقيل سوق المسك وقي : العي التي تحمل المسك ، العوارض : الأسنان ، الروضة : البقعة التي يستنقع فيها المطر قينبت العشب ،أنفا : لم يرعها أحد فهو أطيب لها ، قليل الدمن : أى أصابها مطر خفيـف ، بمعلـم : معـروف ، أهضم : لطيف ، جادت : أمطر بمطر غزير ، البكر : السحابة في أول الربيع التي لم يمطر قبلها ،الحرة : البيضاء وقيل : الخالصة ، القـرارة : الموضـع المطمئن من الأرض يجتمع فيه السيل ، السح و التسكاب : الصب أيضا ، لـم يتصرم : لم ينقطع ، الغرد : المطرب ، المترنم : الذى يرجع في صوته بينـه وبين نفسه ، الهزج : الصوت ، الأجذم : المقطوع الكف ،فيقال : جذمت الشيء إذا قطعته .

ولقد مَرَرْتُ بدارِ عَبْلَةَ بَعدَمَا لَعِبَ الرَّبيعُ برَبْعِـها المُـتَوسّمِ
جـادَتْ عَلَيهِ كلُّ بـكْرٍ حُرّةٍ فَتَركنَ كُـلّ قَـرارَةٍ كالدّرْهَـمِ
سَـحّاً وتَسْكاباً ، فكُلَّ عَشِيّةٍ يَجري عليها المَاءُ لَمْ يَتَصَرّمِ
خَلا الذُّبابُ بها، فَلَيسَ ببارحٍ، غَرِداً كَفعلِ الشّـارِبِ المُـتَرَنِّمِ
هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَـهُ بذِراعِهِ، قَدْحَ المُكِبِّ على الزّنَادِ الأجْـذَمِ

فقدم الشاعر صورة لمحبوبته في صورتها الحسية مقدمًا أوصافها تقديمًا حسيًا معتمدًا فيه على التشبيه ،ومقربًا مفاتنها وصفاتها للمتلقي بعناصر الطبيعة ، فتحدث عن فمها وجعله عذبًا ذا رائحة طيبة يذهب بعقل مقبله ؛ فيستعذب تقبيله ،ويستلذ بطعم ريقه ،وكأنّه من رائحته العذبة ،وعاء مسك أتى ريحها من فمٍّ هذه المرأة قبل أن يدنو منها ، أو كأنه في عذوبته روضة جمع لها صفات الحسن ؛ فجعل المطر الخفيف يتساقط عليها ــ ولم يجعله مطرًا كثيفًا لأنه لو كان المطر كثيفًا لقلَّ ريحها ــ ؛ فاعشوشبت ،وطاب ريحها وكثر ، ثم جعلها أيضا في موضع غير معروف ولم يرعها أحد .

وبجانب هذه المشاهد التي استقاها من الطبيعة أتى تصويره لمشهد آخر متصل بما قبله ،وهو دار هذه المحبوبة التي قدّم أوصافها آنفا ،وبجانب كون هذه الدار جزءًا من هذه الطبيعة نجد عناصر أخرى تساهم في إبراز صورة هذه الدار ،وقد تجسدت هذه العناصر في رياح الربيع ، والذباب المترنم المغرد في ربوع هذه الدار الخالية فلا يزاحمه فيها أحد .

وتتسلل صورة الطبيعة في صور الليل التي سردها شعراء الجمهرة ؛ من ذلك ليل امرئ القيس : ([1])

ولَيلٍ كَموجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ
عَليّ بأَنْواعِ الهُــمُــومِ ليَبتَلي
فَقُــلْتُ لَهُ لمّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ
وَأَرْدَفَ أَعْجازاً ونَاءَ بكَــلْــكَلِ
أَلا أَيُّها اللّيلُ الطّويلُ ألا انْجَــلِ
بِصُبْحٍ، وما الإصْبَاحُ مِنْــكَ بِأَمْثَلِ
فَيا لَكَ مِــنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ
بِكُــلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُــدّتْ بِيَذْبُلِ
كأنّ الثُّرَيّا عُلّقَتْ في مَصَابِها
بأَمْــراسِ كَتّانٍ إلى صُــمّ جَنْدَلِ

فلوحة الليل تشتمل على موجودات طبيعية متعددة بَنَى عليها الشاعر لوحته التي تعبر بشكل أو بآخر عن أثر الليل بطوله وامتداده على نفسه ؛ فاستعان بموجودات الطبيعة شكّل من خلالها طول هذا الليل ، فجعله في امتداده وتتابعه كموج البحر ،واستخدم النجوم وجعلها في بطئها وقلة حركتها وكأنها قد ربطت بحبال قوية

([1]) الجمهرة ص : (١٣٢ ، ١٣٣ / ٥٢ :٥٦) جوزه : وسطه ، الكلكل : الصدر ، المغار : المحكم الفتل ، مصامها : مواضعها ، الأمراس : مفردها : مرس وهي الأحبال المفتولة.

محكمة الفتل صنعت من موارد الطبيعة بجبال يذبل ، أما الثريا هذا الموجود السماوي فقد عُلِق بأحبال قوية في موجود طبيعي آخر وهو الجندل هذه الحجارة القوية .

واستخدم الشاعر عناصر الطبيعة في رسم صورته ،وهو في ذلك لا يكتفي بمجرد الوصف الحسى ،وإنما اتّخذ الموجود الطبيعي رمزًا قارن من خلاله بين فكرة وأخرى ،أو حالة نفسية أو مادية بينهما ،وذلك ظهر في أسلوب تشبيهي عقده الشاعر بين ممدوحه والطبيعة ليوضح من خلاله صفات ممدوحه ،وذلك في قول عنترة : ([1])

يا عَبْلَ لَوْ أَبْصَرْتِني لرأيتني في الحربِ أُقدِمُ كالهزْبرِ الضّيغمِ

فاستخدم عنصر الطبيعة **(الهزْبرِ الضّيغمِ)** ؛ ليبني عليه صورته التشبيهية ،وبذلك بين مدى شجاعته التي تقاربت مع الأسد قوةً ،وبطشًا ،وفتكًا .

أما الطبيعة الحيوانية فقد تمثلت واضحةً في الناقة ،والخيل ،وثور الوحش ،وبقر الوحش والذئب والكلاب ،والجراد ،والسباع ،والضفادع ،والذباب وغير ذلك كثير مما نجده بين دفتي الجمهرة . ([2])

([1]) نفسه ص : (٣٥١ / ١٥).

([2]) الجمهرة ص : (١١٨ /١٤،١٥) ،(١٩/١١٩) ، (٤/١٨٤) ، (٢٨/١٩٠) ، (١٨،١٩/٢٠٨) ،(٤٢/٢١٨) ، (٢٢/٢٤٥)،(٣٢/٣٠٨) ،(٢/٣٤٧)،(٧/٣٤٩)،(١٩/٣٥٢ ، ٢٠) ، (٢٨/٣٨٥ ، ٢٩) ، (٣٥٢ / ٢٠)،

(٢) الرافد التاريخي :

شكّل التاريخ محورًا جوهريًّا في الجمهرة استمد منه بعض الشعراء صورهم ، وصاغوا من أحداثه الضاربة في البُعْد صورهم ،وأفكارهم ،فوجدناهم يشكلون صورًا متعددة من أحداث التاريخ بكل ما فيه من وقائع تاريخية ،وشخصيات ،وأحداث لها دورها السياسي والاجتماعي لنقلها وتوظيفها في بناء صورهم ، وخاصة مدائحهم وأهاجيهم ، " فالشعراء يسردون أحداث تاريخهم التي ربما شاركوا فيها كثيرًا بسيوفهم جنبًا إلى جنب ألسنتهم ، وجاءت أشعارهم معبرةً عن هذه الأحداث ومتضمنةً لها .

فالأحداث التاريخية قد تكون حافزًا تدفع لنظمها، أو مفاخرًا بأحداثها وانتصاراتها ، أو مهددين بحروبها ،أو مؤلبين لأحلافهم ،أو هاجيًا لهروبهم ؛عندئذٍ يشخص التاريخ بين طياتها ، وأصبحت أشعارهم تجسد أحقابًا مضت بما فيها من تنازع ،وتفاخر ،وصراع ،ودماء فعقل الشاعر يختزن أشياء ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ ، ولا شك أن هذا يظهر في نتاجه الشعرى (١).

(٣/٤٤٣) ، (٢١/٤٤٥ ، ٢٨) ،(٣٢/٣٥٥ ،٣٤)،(٣٥/٣٥٦)، (٣٨/٣٥٧ ،٣٩)، (٤١/٣٥٨) ، (٣٥٩ /٤٤ ،٤٥) ،(٣٦٠/ ٥٠،٥١) ،(٦٩/٣٦٦) ،(٢٠/٥٢٦) ،(٤/٦٦٢) ، (٩/٧٢١ ،١٠) ، (٣٢/٧٥٣)، (٧٩١ /١٣،١٤).

(١) مصطفي الشورى : الشعر الجاهلي ــ مكتبة دار المعــارف ــ القــاهرة(١٩٨٦م) ص : ١١٨ .

والتاريخ الذى حفلت به الجمهرة على نوعين أولهما التاريخ بمفهومه العام بوصفه تراثًا إنسانيا زاخرًا بالأحداث ،والمواعظ ،والحكم حاملاً تجارب أقوام بائدة خاضت صراعًا مريرًا مع بعضها من ناحية ،ومع الدهر من نواحٍ أخرى ، وأصبحت سيرتهم ،وحياتهم ، وتاريخهم عبرةً لمَنْ سبقهم ،ومثلاً يقتدى به ، فالتاريخ العام يتمثل في الأحداث التاريخية التي امتدّت جذورها إلى أمم بائدة أصبحت بأحداثها ، وشخوصها، ،وأيامها تراثا إنسانيًّا ألقى بظلاله على الجميع ؛ فاتخذت مثلاً ،وتواترت أخبارهم على سبيل العظة والاعتبار ،وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب في سياق حديثه التاريخي لينحا بذلك منحًا تربويًّا يتمكن من خلاله من وضع أنموذج تاريخى مفعم بتجارب أقوام أصابوا ،وأخطأوا ،وملأوا ما حولهم بناءً ،وفخرًا ،وانتصارًا ؛ ليتعملوا من تجاربهم ، ويكتسبوا منها خبرات لا تحصى ،ولهذا جاءت خواتم تلك القصص بقوله : إنّ في ذلك لعبرة لأولى الأبصار، لأولى الألباب (١)،وقد حفلت الجمهرة بتاريخ عام سواء اقتبس منه بعض شعراء الجمهرة ،وسردوا هذا التاريخ في صورهم ،أو التقطوا من بين دفتيه شخصيات محورية استخدموها رمزًا إشاريًا يوحي

---

(١) من ذلك قوله تعالى : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألبـــاب "﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ سورة يوسف الآيـــة ١١١ ،وقوله تعالى : ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون " الأعراف الآية ١٧٦.

بمراده ، ويدعم أفكاره ،وصاغوا من خلال أحداثه القديمة صورهم التي قولبوا فيها موضوعاتهم الشعرية ،وأبرزهم ــ في ذلك ــ علقمة ذو جدن الحميري الذى تناول في مرثيته أقوامًا بائدة ، فتحدث عما كان لهم ،وما كان بأيديهم من أسباب الملك ، ونهايتهم الطبيعية التي تنتظر كل مَنْ يحيى على هذه الأرض ،وقد كرَّس لفكرة الموت القديمة ،وتاريخه الضارب الجذور الممتد اللامتناهي في تاريخ الإنسان ،وذلك في مرثيته التي مطلعها : ([1])

لِكُلّ جَنْبٍ، اجْتَنَى، مُضْطَجَعْ، وَالمَوْتُ لاَ يَنْفَعُ مِنْهُ الجَزَعْ

فسرد ــ في مرثيته ــ حديثًا طويلاً عن أمم ماضية طحنهم الموت بجحافله على الرغم من كلِّ ما بأيديهم من قوة ،وثراء ؛ فذكر أسماء ملوك عاشوا في حقب تاريخية مضت ، وكان لهم قوة ،وعتاد ،وإمكانات لم تتوافر لغيرهم وهم : **مالك ذو فائش** : أحد الأذواء ،وملك من ملوك حمير ، و**أسعد** : أحد الملوك التتابعة ،**وذو مارد** ،**وقوم تبع** ،وما كان لقوم حمير وغيرهم من قوة وعزٍّ وثراء ،فقد كانوا متبعين مطاعين ،وبرغم ذلك لم يقووا على الموت ،ولم يكن ذلك بحائل يحول بينهم وبينه ،وقادهم في النهاية إلى قبورهم المظلمة ؛ليظل بناؤهم وقصورهم دليلاً على حياتهم السالفة .

وعاد الشاعر مستحضرًا التاريخ الماضي متحدثًا عن سد مأرب ،وبنائهم المرتفع وصراوح ــ وهو حصن باليمن ومأرب ــ وما

([1]) الجمهرة ص : (٥٧٨: ٥٨٠ / ١: ٢٦) .

كان لبلقيس ملكة سبأ ،وبرغم ذلك لم ينج أيُّهم من الموت ،واستحضر شعراء الجمهرة شخصيات تاريخية محملة بدلالات رمزية مكثفة من خلال الإشارة إليها موظفين ما بها من دلالات ،وما تحمله من ومضات إشارية ،ومثل ذلك نجده في قول زهير بن أبى سلمى في حديثه عن الحرب ونتاجها : ([1])

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

فاستعمل الشاعر الرمز التاريخي في **(أَحْمَرِ عَادٍ)** ،وهو قدّار بن سالف عاقر الناقة ليحيل من خلال هذا الرمز التاريخي الذى بنى عليه صورته مدى الشقاق والصدام والدمار الذى ستنتجه الحرب ،والمصير المأساوي الذى ستقودهم إليه الحرب إن لم ينزع فتيلها ،فهي لا تنتج خيرًا ،إنما نتائجها سيكون هلاكًا ودمارًا كأحمر عاد في الشؤم والدمار والهلاك .

وقد استخدم الشاعر **(أحمر عاد)** ــ والمراد به عاقر الناقة ،وهو من ثمود ،واسمه قدار بن سالف ــ إشارة تاريخية جسَّدَ من خلاله الصورةَ ،ووضع أمام أعينهم جميعًا صورة لما سيصير إليه حالهم إن هيجت الحرب ،ووضع أمام المتلقين الهلاك الذى حلّ بقوم ثمود كما عبر عنه القرآن بعد ذلك بقوله تعالى :﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا** ﴾ ([2]) .

([1]) نفسه ص : (١٦٧ /٣٠ : ٣٣).

([2]) سورة الشمس الآية ١٤ .

وقريبًا من هذا ما نجده في قول الأعشى الكبير : ([1])

وَدُرُوعاً مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ في الحَرْ ب، وَسُوقاً يُحْمَلْنَ فَوْقَ الجمَالِ

فاستخدم الشخصية التاريخية (**سيدنا داود**) وما شُهِر به من حذق ،ومهارة ،ودقة في صناعة الدروع ليبني على إشارته التاريخية محاور صورته ،فجعل دروع ممدوحه في اتساقها ،وصلابتها ،وقوتها من نسج داود في الحرب ؛ ليتمكن من خلال هذا الاستدعاء التاريخي أن يلصق بدروعه صفتي الصلابة والمتانة ،وقد أشار القرآن الكريم إلى حذق سيدنا داود في صناعة الدروع في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ ([2]) .

أما الخمر فهي معتقة كما قال عمرو بن كلثوم : ([3])

عُقَارًا عُتِّقَتْ مِنْ عَهْدِ نُوْحٍ بِبَطْنِ الــدَّنِّ تَبْتَذِلُ السِّنِينَا

فالخمر قديمة معتقة ، والعتق صفة مدح لها ، واستخدم عمرو بن كلثوم شخصية سيدنا نوح التاريخية الذى امتد زمانه ليبين من خلالها البُعْد الزمني والقدم الذى أضفاه على هذه الخمر التي طال مكثها في الدّنِّ ،وطالت المدة الزمنية حتى احمرّت ،وحسنت

([1]) الجمهرة ص : (٥٣/٢٢٢) الوسق : الحمل ، الوسوق : الأحمال .

([2]) سورة سبأ الآية رقم (١٠ ،١١).

([3]) الجمهرة ص: (٣/٢٧٣).

مستخدمًا عهد سيدنا نوح ؛ليوحي بهذا البعد الزمنى من خلال استحضاره لهذه الشخصية التاريخية الدينية.

وبجانب التاريخ العام استخدم شعراء الجمهرة ــ في هذا الجانب ــ تاريخهم الخاص في بناء صورهم الشعرية مستخدمين ما يحفل به هذا التاريخ المفعم بحياتهم ،وماضيهم ، وبطولاتهم ،وأيامهم السالفة، وأوطانهم الغابرة ،وانتصاراتهم ،وبطولاتهم ؛ ليشكلوا من خلاله الجانب المشرق المسجل لبطولاتهم وانتصاراتهم وماضيهم ومفاخرهم وبطولاتهم ليوظفوه في أشعارهم مجسدين أيامهم ،وبطولاتهم ، ففيه حياتهم التي هي معاشهم ،وبين جنبيه مفاخرهم التي كثيرا ما تشدقوا بها، وهزائمهم التي حاولوا مرارًا أن يخفوها ،وجاء التاريخ الخاص كثيرًا في الجمهرة ، وقد صاغوه صياغة تتماشى مع صورهم ،وصنعوا من أحداثه أمجادًا سطروها بين أبياتهم مفاخرين ،ومادحين ،وهاجين ،ومدافعين ،وعارضين له ،وصائغين له بطريقتهم الخاصة ؛ فخلطوا أحداثه بخيالهم ،ورّوا قصصًا ــ أحيانا ــ هي من محضِّ الخيال صنعوا فيها مغامرات نسائية ترضى طموحهم ،وتشبع كوامنهم ورغبات الداخلية ،وتحقق ولو شيئًا قليلاً من أحلامهم التي اصطدمت في أحايين كثيرة بطبيعة المجتمع القاسية ؛ فتلاشت كالسراب أمام أعينهم ،وظلت حلوقهم عَطْشَى دون أن تبل بقطيرات ،ومثل هذه القصص التاريخية نجدها في معلقة امرئ القيس التي صنع لنفسه فيها تاريخيا نسائيًّا سطره بمغامراته الليلية ، وشكل جوانبه بما دار بينه وبين صاحباته

،وأيامه التاريخية الخاصة كثيرة منها : يوم الغدير ، ويوم دارة جلجل([1]) ساردًا فيهما أحداثا اختلف حولها الرواة ما بين مثبت لها ومنكرًا لتحققها ،فهي ــ لديهم ــ مخترعة ،ولكنها على الرغم من ذلك تحمل بين طياتها عبق الماضي المحمل بالمفاخر ،ولذة الحياة التي تعاقر فيها اللذات وتغتنم .

وقد شكّل التاريخ الخاص أحيانًا محاورَ اتخذها الشاعر في مدائحه ،ومثل ذلك نجده لدى الأعشى الكبير في قوله : ([2])

هُوَ دَانَ الرَّبَابَ، إِذْ كَــرِهُوا الديِّــ ــنَ دِرَاكاً بِغَــزْوَةٍ ، واحْتِيَالِ

فاستخدم تاريخ ممدوحه المُمتلئ بالانتصارات ؛ ليجعله جانبًا من جوانب مدحه له ، فممدوحه (**الأسود بن المنذر**) ([3]) تمكن من أن يخضع الرباب : وهي مجموعة من القبائل ــ ضبة ،وتيم ،وعدى ،وثور ،وعكل ــ أولاد أدَّ بن طابخة بن إلياس بن مضر ([4]) ،

([1]) الجمهرة ص : (١١٧ : ١٢/١٣١ :٥١).

([2]) نفسه ص :(٢٢٥ /٥٨) دان : ذل ، الرباب : وهي مجموعة من القبائل ــ ضبة ،وتيم ،وعدى ،وثور وعكل ــ أولاد أدَّ بن طابخة بن إلياس بن مضر عقوبة : عذاب ، الأقوال : الملوك واحدهم : قيل .

([3]) الأسود بن المنذر اللخمي : الأسود بن المنذر الأول بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو اللَّخمي ، من ملوك العراق في الجاهلية تولى بعد أبيه ، ونشبت حروب بينه وبين الغسانيين ملوك الشام فقهرهم ، ثم قتل في إحدى معاركه معهم (الزركلي : الأعلام ٣٠/١)

([4]) الأعشى : ديوانه ص ١ ، ٢ .

وكانوا قد خرجوا عليه، فأدانهم ،ودحرهم ،وقادهم ظافرًا عليهم ،وخلط الشاعر بين حقائق التاريخ التي اعتمد عليها بوصفها رافدًا بنى عليه صورته ،وبين صنعته الشعرية ،فسكب على هذا الرافد التاريخي فَنَّه ،وصنعته الشعرى ؛فأظهره بهذه الصورة التي جسد فيها ما دار بين ممدوحه وأعدائه ،وقدم تفاصيل المشهد التي برزت جلية ،ونتائج هذا العصيان التي كانت على قدر جرمهم ،ومتعدية للجميع رجالاً ،وشيوخًا ،ونساءً .

وقد جسد الأعشى في موقف أُخرى مشهدًا بطوليًّا بنى عليه مدحه ،وذلك في قوله : ([1])

([1]) الجمهرة ص : (٢٢٤ :٢٢٩ /٥٨ :٧٣) ، شبت الحرب : اشتعلت وهاجت ، الغمر : الذي لم يجرب الأمور ، قلصت : شمرت ، عن حيال : يشبه الحرب بالناقة التي حملت بعد أن كانت حائلا لا تحمل ، فهو أشد لها ، أعطيت نعالا : يشير بذلك إلى إيقاع الممدوح ببني محارب حين أحمى لهم الأحجار وسيرهم عليها ؛فتساقط لحم = أقدامهم ،والشاعر يشير على سبيل التهكم إلى أن ممدوحه ألبسهم نعالا محذوة بمثال ، ويقصد أن العقاب كان على قدر جرمهم ، كبا الوجه : تغير لونه من الفزع . إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وذبيان : فهي بطن من غطفان وهو ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس منهم النابغة الذبياني الشاعر ، أما دودان : فهي بطن من أسد بن خزيمة .أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني : الأنساب ــ تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ــ مكتبة ابن تيمية القاهرة ط(٢)(١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠م) (٣ / ٧٠٦) ، (٢ /٥٠٠، ٥٠١) .

مِنْ نَواصِي دُوْدَانَ، إِذْ حَضَرَ البأْ سُ، وذُبْيَانَ والهِجَانِ العَوالي
وَشَرِيكَينِ في كَثيرٍ مِنَ المَا لِ، وكَـانَـا مُحَالِفَيْ إِقْلالِ
قَسَمَ الطّارِفَ التّليدَ منَ الغُنـ ـمِ فآبَا كِـلاَهُـمَا ذُومَالِ
هَـؤُلا ثمّ هَـولاَئكَ أَعْطَيْـ ـتَ نِـعـالاً مَحْـذُوّةً بِمِثَالِ
فَأَرَى مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْذُو لاً وكَعْبُ الَّذِى يُطِيعُكَ عَالِى

فقد أشار الشاعر بإيجاز ــ في أبياته السابقة ــ إلى وقعة لممدوحه الأسود بن المنذر(١) مع قيس بن عيلان ، وإيقاعه ببني محارب والشاعر ، وكان سببها قتل الحارث بن ظالم المري "من ذبيان " لابنه شراحبيل ، فأوقع الأسود ببني ذبيان ، وبني أسد أولاً ، ثم وجد نعل ابنه بعد ذلك في موضع من بلاد بني محارب ،فقال لهم : سأخذيكم نعالا ، فأحمى لهم الصفا التي بصحراء أضاخ حيث وجد نعل ابنه ، وسيرهم عليها ؛ فتساقط لحم أقدامهم ، فتهكم الشاعر قائلا : إنه ألبسهم نعالاً من الأحجار الموقودة ، وكان ذلك على قدر جرمهم موظفًا هذه الحادثة التاريخية لتأكيد مدحه (٢).

---

(١) الأسود بن المنذر اللخمي : الأسود بن المنذر الأول بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو اللَّخمي ، من ملوك العراق في الجاهلية تولى بعد أبيه ، ونشبت حروب بينه وبين الغسانيين ملوك الشام فقهرهم ، ثم قتل في إحدى معاركه معهم (الزركلي : الأعلام ٣٠/١) .

(٢) الأعشى : ديوانه ص : ١١.

وقد وظف النابغة الذبياني في معلقته حادثة تاريخية بين قومه بنى ذبيان وممدوحه النعمان بن المنذر نافيًا من خلالها ما نسبه إليه قومه من الخيانة قائلاً : (١)

لَقَدْ نَهَيْتُ بَني ذُبْـيَـانَ عَـنْ أُقُـرٍ،
وَعَـنْ تَرَبُّعِهِمْ في كـلِّ أَصْـفَارِ
فَقُلْتُ : يَا قَـوْمُ إنَّ اللّـَيْـثَ مُنْقَبِضٌ
على بَرَاثِـنِـهِ لِـوَثْبَةِ الضَّـارِي

فقد بنى صورته على رافد تاريخي دار حول حادثة حقيقية بين الحارث بن الأصغر الغساني وبنى ذبيان في وادى أقر : " وهو واد لبنى مرَّة ،وهو واد نَجْل واسع مملوء حَمْضا كان النعمان بن الحارث الأصغر الغسّاني قد حماه ، فاحتماه الناس ؛ فَتَربَّعته بنو ذبيان ؛ فنهاهم النابغة عن ذلك ،وحذَّرهم غارة الملك النعمان ؛ فعيَّروه خَوْفه من النعمان ،وأبوا ، وتربَّعوه ، فبعث النعمان بن الحارث إليهم جيشًا ،وعليه ابن الجُلاح الكلبى ؛ فأغار عليهم بذي أُقر ، فقتل وسبى ستين أسيرًا ،وأهداهم إلى قيصر الروم "(٢) .

ولم يكتف النابغة بسرد هذه الحادثة التاريخية مكتفيًا بما مدّه التاريخ به من أحداث فحسب ، وإنما ترك لنفسه العنان

---

(١) الجمهرة ص :(١٩٥ :١٩٩ /٥٠ : ٦١) ،أقر جبل ، ذو أقر : واد لبنى مرّة .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ / ٢٣٥ .

،وسبح بخياله بعيدًا مصورًا أحداث المعركة ،وما صار إليه أمر بنى ذبيان ،وما عانت منه نساؤهن ،وقد ظللن ينظرن بمؤخرات أعينهن يمينًا ويسارًا متطلعات إلى مَنْ ينقذهن ،وهن منكرات للرّق ،وتذرى أعينهن دموعًا سواجيا مما رأين من ذلِّ الأسر ،وهوانه ،ومرارته ،وتطلعن في شغف وأمل إلى رحلة حصن وابن سيار ــ وهما رجلان من بنى ذبيان ــ ليفكا أسرهن .

وأكمل النابغة المشهد بما حل ببنى ذبيان وآثار هذا الغزو عليهم معتمدًا في ذلك كله على الإطار العام للحادثة التاريخية الذى صاغ فيه صوره الشعرية .

وقريبًا من ذلك نجده في قول زهير بن أبى سلمى : ([1])

يَميناً لَنِعْمَ السَّيدَانِ وُجِـدْتُـمَـا

عَلَى كُلِّ حَـالٍ مِنْ سَحيْلٍ وَمُبْرَمِ

تَدَارَكْتُما عَـبْـساً وذُبْـيَانَ بَعْدَما

تَفَانَوْا وَدَقّوا بَيْنَهم عِـطرَ مَنْشَمِ

فمعلقة زهير بن أبى سُلْمى قد بنيت في مجملها على رافد تاريخي تمثل في حرب داحس والغبراء وتبعات هذه الحادثة ،وداحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد بنى عبس ، وتعد هذه الحرب من أشهر حروب العرب قبل الإسلام ،وقد وقعت هذه الحرب بين عبس وذبيان واستمرت سنوات ،وانقسمت القبائل إزاء

([1])الجمهرة ص : (١٦١ :١٦٥ /١٨ : ٢٨) .

الحيين المتنازعين ،وظلت نار الحرب تعلو وتخفت يتوارثها الأبناء عن الآباء ([1]) حتى جاء الحارث بن عوف وهرم بن سنان ؛ فأصلحوا بين الحيين ،وتحملوا الديات ،فكان لذلك نتاجه العظيم بين الحيين ،وعمّ السلام الشامل بينهما ، وأُخْمِدت نار الحرب الغشوم التي أكلت نارها كثيرًا من الحيين ،وقد وظف زهير هذه الحادثة التاريخية وبَنَى عليها معلقته داعيًا في وقت كَثُرَ فيه النزاع والتحريض إلى القتال إلى سلام عام وشامل ترفرف أجنحته على الجميع ،ويجنى ثماره اليانعة الأبناء ، فهو يوظف هذه الحادثة التاريخية لممدوحيه ،وجعلها محورًا جوهريًا بنى عليها مدحه .

(٣) <u>الأمثال :</u>

يعد المثل رافدًا من روافد الصورة الشعرية في الجمهرة ،وهو ــ في مجمله ــ قول موجز مستمد من ملاحظة في الطبيعة ،أو مرتبط بأشخاص سواء أكانت محبوبة أم مكروهة ؛ فيتواتر على الألسنة ،وينقل من سياقه ذي الأحداث المتشعبة التي بلورته ،ووردت فيه إلى ما يشابهه دون تغيير في لفظه ، حاملاً بين طياته فحوى حدثً

([1]) محمد أحمد جاد المولى ــ على محمد البجاوي ــ محمد أبو الفضل إبراهيم : أيام العرب في الجاهلية ــ منشورات المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت د.ت ص ٢٤٦ : ٢٧٧.

تاريخيًّا تضمن مجموعة من الرموز ،والكلمات ،والشخصيات التي صارت مثلاً يقتدى به .

واستخدم بعض شعراء الجمهرة المثل في تشكيل صورهم ([1]) ؛ فأصبحت ــ في أحايين كثيرة تبنى عليه ــ وتُكوّن مادته ،مبلورة لأحداثها موظفاً ذلك العبق التاريخي الذى حمله المثل بين طياته ؛ ليشير من خلاله إلى هذه الحادثة ؛ ومن هذه الأمثال التي عُدّت رافدًا للصورة في الجمهرة قول زهير بن أبى سُلْمى : ([2])

تَدَارَكْتُما عَبْــساً وذُبْيَانَ بَعْدَما تَفَانَوْا وَدَقّوا بَيْنَهم عِطرَ مَنْشَمِ

فالشاعر وظف المثل بما يحوى بين جنبيه من موروثات تاريخية وعرفية تبلورت في إطاره حتى أصبح هذا العطر المنسوب لهذه المرأة الجاهلية **(مَنْشَمِ)** يتطير به ، فاستخدم زهير هذا المثل ذا الدلالات التاريخية الثرية التي تحمل بين فحواها الهلاك ،والإبادة ،والدمار، فممدوحاه : هرم بن سنان والحارث بن عوف قد (**تداركا**) والدرك : هو اللحوق والبلوغ ، وجاء يتدارك ليوحي بالتلاحق والتتابع ،فبمجرد أن تفانوا ،وقاتل بعضهم بعضًا تمّ التدارك ، والتفاني هنا ليس إبادة كاملة ،ولكنه إشارة إلى ما يمكن أن يحدث إذا لم يتم لحقاهم بسرعة بالغة مدركين لهم ،وباذلين ما

([1]) الجمهرة ص : (٢٧٣ / ٣) ،(٣٣٤ / ٩٠) ،(٦٣٣ /٩ :١١) ،(٤٠٣/ ١٨) ،(٤١٧، ٤١٨/ ٢١، ٢٢) ،(٤٢٢ /١٤) ،(٤٢٥/ ٢٤)،(٦٤٥ /٨) ، (٧٣٧ /٤٩) .

([2]) نفسه ص: (٢٧٣ / ٣) .

في وسعهم لإدراك ما من شأنه أن يستبقى المودة والوصال بينهم وقد أفادت زيادة المبنى (تدارك) زيادة المعنى ؛ فزاد معنى اللحوق والمبالغة فيه ، وكَفّ ما في وسعهم من أجل إنقاذ ما تبذل من دمائهم وشتاتهم .

واستخدم طرفة المثل في قوله : ([1])

فَلَوْ شَاءَ رَبِيّ كنتُ قَيسَ بنَ خالدٍ

ولو شاءَ رَبِيّ كنتُ عَمرَو بنَ مَرْثدٍ

فاستغل ما يعرف به هذان السيدان : قيس بن خالد ، وعمرو بن مرثد من دلالات رمزية موظفًا لإمكانياتها في صورته ،فهو عبر عن خلجات نفسه ،وما انتابه من ضعف ، بإيمان صادق عن استسلامه لمجريات الأمور ،وخضوعه لإرادة ربِّه ، فهو ــ وحده دون سواه ــ لو شاء لكان كثير المال مستغلاً قيس بن خالد ([2]) الذى يضرب به المثل في كثرة المال ،ولو شاء أن يكون له

([1]) الجمهرة ص : (٣٣٤ / ٩٠).

([2]) هو قيس بن عبد الله بن ذي الجدين ، ولما بلغ قيسًا قول طرفة بعث إليه فقال : أما الولد ؛ فالله يرزقك ، وأما المال فسنجعلك فيه أسوتنا فأمر سبعة من ولده فدفع إليه كل واحد منهم عشرا من الإبل ،وأمر ثلاثة من بنى بنيه فدفع إليه كل واحد عشرا " الجمهرة ص (٣٣٤).

كثير من الأولاد لكان كعمرو بن مرثد ([1]) الذى يضرب به المثل في كثرة الولد ، فاستخدم المثل بما يحمله من دلالات مكثفة في بناء صورته ومن الغريب أن يصدر هذا القول من طرفة بن العبد الذى كان كثيرًا ما يجاهر بإلحاده .

واستعمل كعب بن زهير المثل ؛ليبني عليه صورة لزوجته أم شدّاد التي اشتهرت بكثرة لؤمها له ،وذلك في قوله : ([2])

فَمَا تَــدُوم على حَالٍ تَكُونُ بها، كما تَلَوّنُ في أثْوابِها الغُولُ

وَلاَ تَمَسّكُ بالعَهد الذي زَعَمَتْ، إلاّ كما يُمْسِكُ الماءَ الغَرَابِيلُ

كَانَتْ مَواعِيْدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً وَمَا مَواعِيْدُهَا إلاَّ الأَبَاطِيلُ

فزوجته ــ دائمًا ــ تخلف الوعد ،ولا توفي عَهْدًا ، وقرب هذا الإخلاف من خلال عدة صور ، فجعلها في عدم وفائها وعدم عرفانها بالجميل ،وتقلبها كالغول المتقلب دائما مرة ، وكالغرابيل التي لا تمسك من الماء شيئًا ثانية ،وأراد إيضاح مدى إخلافها ؛ فجعلها كعرقوب ،وهو رجل من يثرب يضرب به المثل في إخلاف الموعد مستغلاً المثل بما يحمله من شحنات دلالية في بيان إخلافها الذى تجاوز المدى .

([1]) هو عمرو بن مرثد الضبعي من قيس بن ثعلبة ،جاهلي يضرب به المثــل في كثرة الأولاد السادة الفرسان وكرمهم . خير الدين الزركلي : الأعلام ٥ / ٨٥ .

([2]) الجمهرة ص : (٦٣٣ /٩ :١١) .

ونجد مثل ذلك في قول النمر بن تولب : ([1])

وَقَوْلي، إذا ما غابَ يوماً بَعِيرُهُمْ: يُلاَقُونَهُ حتى يَــؤُوبَ المُنَخَّلُ

فاستخدم الشاعر المثل في قوله حين (**يَؤُوبَ المُنَخَّلُ**) ،ليبين مدى ضياع بعيرهم موظفًا المنخل : وهو القارظ العنزي من بنى عنيزة يُضرب به المثل فيمن لا يرجى إيابه وقد خرج يجتبى القرظ فلم يسمع له خبر ([2]) ،وهو مثل يضرب فيمن لا يرجى إيابه .

(٤) <u>القيم الدينية :</u>

شكل الدين محورًا جوهريًا ساهم في بناء الصورة و بلورتها بشكل أو بآخر بوصفه رافدًا من روافدها ،والصورة ــ في مجملها ــ ما هي إلا انعكاس لحركة المجتمع التي تعتلج بداخله ،والمجتمع العربي مجتمع متدين بطبيعته ،وقد ساق ابن الكلبي كثيرًا من الأخبار عن عباداتهم ،وأصنامهم ،وأنوائهم ،وطقوسهم التعبدية والوثنية ،فالأصنام والمعبودات الجاهلية كانت ديانة كثير من الجاهليين ([3])،وانتقلت عبادة الأوثان من الأمم المجاورة لهم ،وقد ظهر هذا الخليط من العبادات بجانب الديانة المسيحية والإسلامية واضحًا في جمهرتهم، وجاءت لمحاتها مسطرة بين دفتيها ،فاستخدم بعض شعراء الجمهرة تراثَ الأصنام المترسب في اللاوعي الداخلي

([1]) نفسه ص :(٤٢٢ /١٤) .

([2]) الجمهرة ص :(٤٢٢ ، ٤٢٣).

([3]) ابن الكلبى : الأصنام ــ دار الكتب المصرية ــ ط(٣) (١٩٩٥م) ص : ٥٢: ٥٦.

في صناعة صورته ، ومثل ذلك نجده عند النابغة الذبياني الذى استمد صورة الطواف على صنم جاهلي ليبني عليه صورته ،وذلك في قوله : ([1])

لاَ أَعْرِفَنْ رَبْرَباً حُوراً مَدَامِـعُـهَـا،

كـَأَنَّـهُـنَّ نِـعـاجٌ حَوْلَ دَوَّارِ

فاعتمد في صورته على روافد التراث الديني المتعلق بالطواف حول الأصنام لدى العرب قديمًا ، فشبه النساء ببقر الوحش الحور شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها ، وكأنهن نعاج يطفن حول صنم **(دوّار)** في ابتهالهن وخشوعهن وانصياعهن لمن يقودهن .

واستخدم امرؤ القيس الرافد الديني في رسم صورة محبوبته في قوله : ([2])

تُضيءُ الظّلامَ بالعِشاءِ كـأَنَّها

مَـنَـارَةُ مُمْسَى رَاهبٍ مُتَبَتِّلِ

فشبه الشاعر محبوبته في حسنها وبياضها بالسراج المضيء الذى يضيئه الراهب المنفرد المنقطع عن الناس المشغول بعبادة ربه مستعيناً بهذه الصورة الدينية لهذا الراهب وسط أستار

([1]) الجمهرة ص :(٥٢/١٩٦) ،الربرب : جماعة بقر الوحش والنعام والظباء ،الحور : شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها، دوار : اسم صنم .

([2]) نفسه ص : (٤٨/١٣٠) العشاء : الليل ، المتبتل : المنفرد وحقيقته المنقطع عن الناس المشغول بعبادة ربه تعالى ،المنارة : السراج .

الليل السوداء التي تحيطه من كلِّ مكان ،ولم يبق إلا شعاع ضوء قنديله الذى يتسلل حول كوخه ،وينير ما حوله من ظلام .

ونجد ملاحم هذه الآثار الدينية واضحة لدى عبيد بن الأبرص في قوله : ([1])

مَــنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وسَــائِــلُ اللَّهِ لا يَخــيبُ
وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبِ طُــوْلُ الْحَيَاةِ لــَهُ تَعْذِيــبُ
باللَّهِ يُــــــدْرَكُ كُــــلُّ خَــيْــرٍ، والقَــوْلُ فِي بَعْــضِهِ تَلْبِيْبُ

فعبيد بن الأبرص كان من دهاة الجاهلية وحكمائها ،وتتضح حكمته وثقافته الدينية من أبياته السابقة ،فهو يعلم علم اليقين بأن الله عز وجل وهابًا يعطى ولا يمنع ،فمن يسأله لا يحرمه ، وبالله عز وجل وحده دون سواه ــ مفيدًا بتقديم متعلقات الفعل على الفعل القصر ــ يدرك كل خير ،وتمادى الشاعر أكثر من ذلك ،واتضح إيمانه بالله الواحد الأحد ،فهو لا شريك له ،وهو عليم بما أخفت الصدور ،وجميع ما ذكره عبيد ما هو إلا نتاج حقيقي لاطلاعه على الديانات السابقة التي تتفق جميعها فيما ذكر ،وهذا يوحى بمدى أثر الرافد الديني في تشكيل الصورة بوصفه المحور الأساسي التي تبلورت عليه الصورة ، والموضوع الذى تقولبت فيه .

([1]) الجمهرة ص : (٢٢/٣٨٤: ٤٤) .

واستخدم زهير الرافد الديني في بناء صورته ،وذلك في قوله : ([1])

فَلاَ تَكْتُمُنَّ اللَّهَ ما في صُدُورِكُمْ لِيَخْفي وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمِ

يُؤخَّرْ فَيُوضَعْ في كِتابٍ فَيُدَّخَرْ لِيَوْمِ الحِسابِ أو يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

فبدا الأثر الديني واضحًا لدى زهير في نصائحه التي ألقاها على الأسماع بما تحمله من إيمان عميق بمراقبة الله ،وعلمه لما يكتم ،وإيمانه في الوقت نفسه بالحساب والعقاب ولهذا ظل يردد في خشوع وابتهال صادرين من قلب توصل بالفطرة القويمة والعلم الموسوعي إلى قدرة الله وحسابه وعقابه قائلاً : لا تظهروا خلاف ما تكتمون لتخفونه على الناس ،ومهما بالغتم في كتمانه ؛ فإن الله يعلمه ؛عندئذٍ يؤخر في عقابه ،ويرقم في كتابه ، ويدخر ليوم الحساب ؛ فتحاسبوا عليه ، أو يعجل العقاب في الدنيا قبل إلى الآخرة ؛ فينتقم من صاحبه.

واستخدم عمرو بن أحمر الآثار الدينية في بناء صورته ؛ من ذلك قوله : ([2])

لَسْنا بِأَجْسَادِ عادٍ في طبائعنا، لا نَأْلَمُ الشرَّ حتى يَأْلَمَ الحَجَرُ

ولا نصارَى، عَلَيْنَا جِزْيَةٌ نُسُكٌ، ولا يهوداً طَغَاماً دِينُهم هَدَرُ

([1]) نفسه ص : (١٦٥ / ٢٨ ،٢٩) .

([2]) الجمهرة ص : (٤٣/٦٨١ :٤٥) الطغام : أوغاد الناس ، الحرث : الكسب الغرة : العبد والأمة.

إنْ نَحْنُ إلاّ أُناسٌ أهلُ سائمةٍ، ما إن لنا دُونَها حرثٌ، ولا غُرَرُ

فهو ينفي عن نفسه وقومه مشابهة الآخرين ،فيوظف ثقافته الدينية معددًا عقائدَ وملاً وديانات وطبائع مختلفة من أقوام بائدة كعاد ،ونصارى ويهود ،مثبتًا في النهاية كونهم أناسًا أهل سوائم لا كسب لهم ،ولا عبيد لديهم ولا إماء .

ومثل ذلك نجده في قول الفرزدق: ([1])

وَقَدْ عَلِمَ الجيرانُ أَنْ قُدُورَنَا ضَوَامِنُ للأرْزَاق وَالرّيحُ زَفْزَفُ

تُفَرَّغُ في شِيزى كأَنّ جِفَانَها حَيَاضُ جبًى مِنْهَا مِلاءٌ وَنُصَّفُ

تَرَى حَوْلَهُنّ المُعْتَفِينَ، كَأَنّهُمْ على صَنَمٍ في الجــاهِلِيّةِ عُكَّفُ

فبيّنَ ــ في أبياته السابقة ــ كرم ممدوحه المتمثل في موائده الممتدة التي يعلمها جيدًا الجيران ،فهي ممتدة دائمًا تضمن للجميع الأرزاق والأقوات ،وصور مشاهدها ؛ فجفانها كالحياض الضخمة التي يسقى فيها الإبل ممتلئة ،ومنصفة من إقبال الناس واعتكافهم عليها ، وصور صورة المقبلين على هذه الموائد وكثرتهم ،وتزاحمهم ،وصمتم ،وتمتماتهم بصورة الملتفين حول الأصنام في الطقس التعبدي الجاهلي الذى ترسب في اللاوعي الداخلي لديه مستخدمًا (**كأَنّ**) التي تدلُّ على قرب طرفي التشبيه ،فقد تقاربا

([1]) نفسه ص : (٧٠٥ / ٧٢: ٧٥) ، زفزف : شـديدة الهبـوب بـاردة ، المعبوط : الناقة التي تنحر للأضياف من الصحيحات التي لا عيب فيهـا مـن مرض وغيره ، الشيزى : هي الجفان ،الجبى : ما يجبى فيه المـاء كـالحوض ونحوه .

تقاربًا تامًّا ،وكأنهما ممتزجان ؛ فصارا شيئًا واحدًا ، فهم في ابتهال حول القدور صامتون ،وتتحرك أيديهم ذهابًا وإيابًا كابتهالهم في الطواف حول الصنم ــ معبودهم الجاهلي ــ ،وهذا أضفي على ممدوحه بجانب ما سبق طابع التقديس .

وتجلى الرافد الديني في قول جرير : ([1])

قَبَحَ الإلَهُ وجُوهَ تَغْلِب كُلَّمَا لَبَّى الْحَجِيْجُ وَكَبَّرُوا إِهْلاَلاَ
المُعْرِسُونَ إِذَا انْتَشُوْا بِبَنَاتِهِمْ والدَّائِبُونَ إِجَــازَةً وَسُــؤَالاَ
وَالتّغْلِبِيّ إذا تَنَحْنَحَ للــقِــرَى حَــــكّ اسْتَهُ وَتَمَــثّــلَ الأَمْثَالا
عَبَدوا الصّليبَ، وَكَذّبوا بِمُحَمّدٍ، وَبِجبرئيلَ، وَكــذّبــوا مِيكالا
لا تَطْلُبَنّ خُــؤولَةً مِــنْ تَغْلِبٍ، فَالزّنْــج أَكْــرَمُ مِنْهُمُ أَخْوالا

فاستخدم جرير روافد دينية متعددة في بنائه لصورته منها ما يتعلق بالإسلام ،وذلك في قوله : **(لبى الحجيج وكبروا إهلالا ، وَكَذّبوا بِمُحَمّدٍ، وَبِجبرئيلَ، وَكــذّبــوا مِيكالا)** ومنها ما يتعلق بالنصرانية وذلك في استخدامه **(عَبَدوا الصّليبَ)** موظفًا هذه الروافد الدينية في هجائه لبنى تغلب الذى افتتح أبياته بالدعاء عليه بأن يقبح الإله وجوههم .

وبرزَت تعاليم الإسلام واضحة لدى الأخطل رغم نصرانيته في قوله : ([2])

([1]) الجمهرة ص : (٧١٤، ٧١٥/ ٢٠ :٢٣) .

([2]) نفسه ص : (٧٢٧ /٤٤ : ٤٦) .

إني حَلَفْتُ بِرَبِّ الراقصاتِ، وما أضْحى بِمكّةَ من حُجْب وَأَسْتَارِ
وَبِالهدايا، إذا احمرّتْ مَدَارِعُها، في يوم ذَبْحٍ وَتَشريقٍ وَتَنْحارِ
وَمَا بِزَمْزَمَ مِــنْ شَمطا مُحَلِّقةٍ، وَمَــا بِيَثْرِبَ مِن عُونٍ وَأَبكار

فاستخدم في قسمه رموزًا دينيةً منها القسم بيوم النحر ،وأيام التشريق ، وبزمزم ، وبالحجيج المحلقين حولها مستغلاً هذه الروافد الدينية مادة لقسمه شكّل من خلالها صورته.

وظهرت ملامح الدين الإسلامي جليَّة في شعر الحطيئة في مدحه لعمر بن الخطاب ؛ من ذلك قوله : ([1])

وَلَيْلٍ تَخَطّــيْتُ أَهْــــــــوَالَــهُ،
إلى عُــــمَــرٍ أَرْتَجــــيهِ ثِــــمالا
طَــوَيْــتُ مَــهَــالِكَ مَخْشِيّةً
إليكَ، لِتُــكــــــــذِبَ عَني المَقَالا
بِمــثْلِ الحَنيّ طَوَاهَا الكَلاَلُ،
فَيَنْــضُــونَ آلاً وَيَرْكَــــــــبــــــنَ آلا
إلى حَــاكــمٍ عَــادِلٍ حُكْمُهُ،
فَلَمّا وَضَعْــنَا لَدَيْهِ الرِّحــــــــــــالا
صرى قَوْلَ مَنْ كَان ذَا مِئْرَةٍ،

([1]) نفسه ص : (٤٤/٦٦٠ : ٤٦) الثمال : الغياث ،الحنــي : القســي ،الآل : السراب ويريد أنهن يسرعن تارة ويبطئن أخرى ،صرى: قطع ،المئرة : العداوة .

وَمَنْ كَانَ يَأْمُلُ فِيَّ الضّـــــــلالا

أَمينُ الخَلِيفَةِ ، بَعْدَ الرّسُولِ،

وَأَوْفي قُرَيْشٍ جَمِيـــــــــعاً حِبالا

وَأَطْــوَلُهم في النّدى بَسْطَةً،

وَأَفْضَلُهُمْ حِينَ عُـــــدُّوا فَعَـــــــــــالا

فاستخدم الشاعر ألفاظًا تَمّت بصلة إلى الرافد الديني في مدحه لعمر بن الخطاب ؛ فبنى مدحه على القيم الدينية الأساسية التي بنى عليه حكم عمر وهي قيمة العدل متجاوزًا هذه القيمة التي كانت شائعة قبل الإسلام مستخدمًا مصطلحات شهرت في ظل الإسلام بسمات خاصة ميزتها ،وهي (**أمين الخليفة ــ الرسول**) مضيفًا إلى هذه القيم الدينية قيم أخرى تمثلت في الوفاء والكرم وحسن الفعال .

وقريبًا من ذلك قول القطامي : ([1])

إن ترجِعي من أبي عثمان مُنجَحَةً،

فَقَدْ يَهُونُ على المُسْتَنْجِحِ العَمَلُ

أَهْــلُ المَدِينَةِ لا يُحْزِنْكَ شَأْنُهُمُ،

إذا تَخَاطأ عَبْــدَ الوَاحِــدِ الأجَـــــــلُ

أَمّا قُــرَيْــشٌ فَلَنْ تَلْقَاهُمُ أَبَداً،

([1]) الجمهرة ص : (٦٥٤ /٣٤ : ٤٦) منجحة : سالمة ظافرة ، العمل : التعب والنصب، تخطاطأه : أي أخطأه ، يئل : ينجو .

إلاّ وهُمْ خَيرُ مِنْ يَحْفي وينْتَـــــــــــعِلُ

إلاّ وَهُم جَبَل اللّهِ الذى قَــصَرت

عَنْهُ الْجِبَالُ فَمَا سوّى بِهِ جَبَـــــــلُ

قومٌ، همُ ثبّتُوا الإسلامَ، وامتَنَعُوا

قَوْمَ الرّسولِ الذي ما بَعْدَهُ رُسُلُ

مَن صالحوهُ رَأى في عَيْشِهِ سَعَةً،

ولا يُرى مَــنْ أَرادوا ضَرَّه يَئِـــــلُ

فظهر الرافد الديني واضحًا في مدحه لأهل المدينة ،وذلك في قوله **(ثبّتُوا الإسلامَ ــ الرّسولِ الذي ما بَعْدَهُ رُسُلُ)**، وهذا يعكس مدى تأثر بعض شعراء الجمهرة بهذا الرافد بوصفه رافدًا من روافد الصورة الشعرية في الجمهرة .

(٥) القيم الاجتماعية والفضائل النفسية :

تعد القيم الاجتماعية والفضائل النفسية من أهم الروافد التي نهل منها الشعراء في بناء صورهم ،فالشاعر ابن بيئته ،وتتشكل ثقافته من ثقافة مجتمعه الذى يحتوى على مجموعة من الثقافات العامة التي هي قدر مشترك بين الجميع ، فالناس على الرغم من الاختلاف الكبير فيما بينهم ؛ فإنهم يتفقون على مجموعة من الفضائل والقيم التي تواترت لديهم ،وأصبحت محل تبجيل لدى الجميع على اختلاف منازعهم ،ودعت إلى التحلي بها جميع

الديانات السماوية ،فالناس برغم اختلاف مشاربهم يتفقون على حب العدل والخير والسلام والوفاء والكرم والنجدة ،والعربي أشد تمسكًا بهذه القيم ،وقد جاءت الجمهرة معبرة عن العرب بوصفها جمهرتهم المسطرة لقيمهم وعاداتهم ،فالشعر ديوان العرب الناطق بحياتهم وطباعهم ومن ثم ،فقد جاءت هذه القيم الاجتماعية والفضائل النفسية بصورة واضحة في الجمهرة بوصفها لبنة من لبنات الصورة ،وعنصرًا أساسيًّا تعتمد عليه في بنائها ،ولهذا جاءت عامرة بألفاظ الكرم ،والشجاعة ،والنجدة ،والإباء ،والبأس ،والرحمة ،والوفاء ،والعدل ،والعفة ، والتقوى ،والصبر ،والرزانة ،والعقل ،والعدل وغير ذلك كثير مما ورد في أشعارهم من قيمهم وأخلاقهم .